

الفتيات الموهوبات في المجتمع العربي بين الموهبة والواقع

١. فاطمة عليان

مقدمة

"سأثبت لأمي وجدتي إنني لست امرأة مثلهما... إنني لن أعيش حياتي في المطبخ أقشر البصل وأفصص الثوم... سأثبت لأمي أنني أكثر ذكاء من أخي ومن أي رجل... وإنني أستطيع أن أفعل كل ما يفعله أبي وأكثر... (السعداوي، 1988)

تمت كتابة هذه المذكرات قبل أكثر من عشرين عاما، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل تغيرت نظرة وتعامل مجتمعنا مع الفتاة؟ وما هي العوائق التي تواجه ظهور ونجاح فتياتنا؟ أن أي مجتمع لا يهتم بقدرات فتياته ستكون خسارته كبيرة، لأننا اليوم بحاجة إلى الطبيبة، والمهندسة، والمحامية، والمحاضرة، والفنانة. وربما تحتاج فتياتنا بشكل عام، والموهوبات خاصة، إلى فرص أكبر، للتقدم، وتغيير واقعهن. وسيتم في هذه المقالة تسليط الضوء على مفهوم الموهبة وعلاقته بالإبداع والذكاء، وبحث واقع ومكانة المرأة في المجتمع العربي بشكل عام، والفتيات الموهوبات بصورة خاصة، من حيث الدعم، والتوجيه، وكيفية الكشف عنهن، ووصف واقعهن عن كذب بشكل موضوعي، وذلك حسب النظريات التربوية، والاجتماعية، والنفسية. إضافة إلى ذلك سيتم التطرق إلى أهم العوائق الاجتماعية، والعاطفية التي تحول دون إظهار الموهبة لدى الفتيات في المجتمع العربي. وأيضا سيتم إلقاء الضوء على دور الجهات المسؤولة، وصولا إلى دور المدرسة والأسرة. كما وسيتم تقديم بعض الآليات والإرشادات لكيفية التعامل، والتعرف على هؤلاء الفتيات.

مكانة المرأة في المجتمع العربي والفتاة الموهوبة بشكل خاص

أكدت دراسة للباحثة عليان (1996، 2006) على تفوق النساء الفلسطينيات في إسرائيل على الذكر في كافة المواضيع. كما بينت دراسة أخرى أعدت حول الطلبة في المدارس الثانوية داخل إسرائيل، على أن الفتيات عبّرن عن طموحات تعليمية ومهنية أعلى من الذكور (Yair, Khattab & Benavot, 2004). لكن توجهات أخرى ترى بأنه ما زال هناك اختلاف واضح في التعليم بين الذكور والإناث (Haj-Yahia, 1998)، وسبب ذلك يرجع إلى

الجمود في الاعتقادات والعادات والتقاليد الاجتماعية، التي تقول بأن الذكور هم رمز القوة والرجولة (لعليا، 2006; Sadaawi, 1985).

وقد أظهرت دراسة كارك وزملائه (Kark, Galilee &Feuershtein, 2009) أن هناك تطورا في مكانة المرأة العربية في إسرائيل، وقد جاء ذلك من خلال الاكتفاء الذاتي، والاستقلال المادي لدى العديد من النساء العربيات. إلا أن الباحثة أبو ربابعة (2005) في دراستها عن النساء العربيات في المجتمع البدوي، تؤكد أنهن مازلن مهمشات، وذلك لكونهن أقلية تعيش في أقلية. أيضا تؤكد العديد من الدراسات، على اختلاف مكانة النساء العربيات عن المجتمعات الأخرى، كونهن يعشن في صراع مع الحياة، والموت، والفقر، ونقص الفرص، وأساسيات الحياة (Sadaawi, 1985). من هنا يمكننا القول أنه بالرغم من إبداع المرأة العربية، وانخراطها في ميادين الحياة المتعددة، وإثبات كفاءتها فيها، واكتسابها العلم والمعرفة، ومساهمتها في بناء الحضارة الإنسانية، ما زالت النساء في مجتمعنا العربي يهملن مواهبهن، وقدراتهن. فنرى بعض الفتيات الموهوبات – شأنهن في ذلك شأن بنات جنسهن – يملن إلى الزواج، ويصرفن جهودهن في تكوين عائلة والعناية بها. ذلك أن معظم النساء بما في ذلك المتفوقات، يتخلين عن مطامهن المهنية ليتفرغن لأزواجهن، وأطفالهن، وبيوتهن (Leroux, 1998). وفي هذا كما هو واضح حرمان للعلوم والآداب والفنون من كثير من المواهب الممتازة. فما هي الأسباب التي أدت إلى هذا الواقع؟

ترى أبو بكر (أبو بكر، 1998) أن المرأة في مجتمعنا تحاول التقدم، والتغيير، وتمثيل الأدوار من خلال وسائل وطرق مقبولة داخل المجتمع. فالمرأة بشكل عام موسومة بالضعف والعجز في اتخاذ قرارات ومسارات حياتها. فكيف نتوقع من المرأة الموجودة في منزلها، أن تكون لها نفس القدرة العقلية التي نالها الرجل من جراء احتكاكه بالعالم، واهتمامه بالمسائل العمومية، والخصوصية. قد نكتفي هذه المرأة بإنماء مواهب سطحية بسيطة، بسبب النظرة الضيقة التي حاصرت المرأة إلى عصرنا الراهن، ولنا أن نتساءل عن مصير واختيارات النساء الموهوبات في مجتمعنا؟

و كما بينا سابقا، فإن مجتمعنا العربي هو مجتمع تقليدي ومحافظ، يتحكم به الرجال في كل شيء تقريبا، وقد نسبوا لأنفسهم فيه أدوار الاقتدار، والحكم، واعتبروا بالتالي أن القدرة، والقيادة، والذكاء هي سمات ذكرية، في حين أنهم اعتبروا الدونية والخضوع سمات أنثوية. ويتبنى المحيط العائلي هذه المقاييس، فيربي لأطفال من الجنسين بموجبها، بحيث يتمرس

الطفل الذكر منذ نعومة أظفاره، على السلوك وفق الدور المرسوم له، و كذلك الطفلة الأنثى تظل موسومة بالضعف والشهوة الجنسية (Karmi, 1996).

وقد أكد وست وزمرمان (West & Zimmerman, 1992) بأن هذه السمات والأدوار تتحقق بفعل التربية وتأثيرها، بحيث تصبح هذه السمات في كل منهما جزءاً لا يتجزأ من كيانه، و كأنها وليدة طبيعية، ما يرسخ الاعتقاد بأن ما هو بالأصل توزيع اجتماعي للأدوار، إنما هو نابع من الطبيعة نفسها، ويمنح المجتمع مبرر الاستمرار في ذلك التوزيع المجحف. وهذا دليل على أن هذه السمات الذكورية والأنثوية هي وليدة التوقعات الاجتماعية (Social Expectations) ومن الأمثلة على ذلك ما يقال عن تصرف الفتيات "بعدم تحمل المسؤولية"، ويرجع ذلك إلى كونها لم تدرّب على ذلك بفعل ما حكم عليها به من تبعية، بل اعتادت أن تُستبعد عن مواقع المواجهة، وأن يتخذ سواها عنها القرار.

وبناء على هذا الواقع الذي تعيشه المرأة في المجتمع العربي، فإن كثيراً من الفتيات في مجتمعنا يمنعن من الاختلاط بالجنس الآخر، بحجة حمايتهن من الفساد، والأصعب من ذلك أنه لا يسمح لهن بإبداء الرأي في مواضيع عديدة، لأن الأهل يعتقدون أن البنت "المميزة" يجب أن تكتفي بالسكوت والاستماع فقط، لتتال إحترام الناس. وفي الماضي كانت الفتاة تُرسل إلى المدرسة، ولكن الأسرة والمجتمع، يشعرا أنها بأن التعليم عنصر ثانوي في حياتها، لأنها معدة أصلاً، وقبل كل شيء آخر، للزواج والأمومة، فلا يلقى تحصيلها المدرسي من محيطها نفس الاهتمام والتشجيع اللذين يلقاهما تحصيل الذكر. وهذا ما ينعكس على طموحها في هذا المضمار، لذا فكثيراً ما تتقطع الفتيات عن الدراسة (هذا أن لم ترغم عليه) بعد بلوغها مستوى محدود من التحصيل، ونادراً ما تجد في نفسها الحافز الضروري لمتابعة دراستها. والأصعب من ذلك، هو أن هذا التدني في طموحات الفتاة الدراسية، الذي يعكس نظرة المجتمع إليها سابقاً، وما ينتظره منها حالياً، يؤثر حتى على مستوى ذكائها، الذي قد يتقهقر بسبب فقدان الدافع في إظهار مواهبها، وقدراتها المختلفة (Silverman, 1995).

ما هي العوائق التي تحد من ظهور مواهب الفتيات؟

هناك نوعان من المعوقات التي تؤثر على تطور ونمو الموهبة لدى بعض الفتيات، وهي معوقات خارجية مثل: الأهل، والمدرسة، والمجتمع. أما بالنسبة للمعوقات الداخلية، فتتعلق بالجوانب الشخصية للفتاة كعدم الثقة بالنفس، وضعف التخطيط، والاختيار، وتفسير النجاح والتفوق ليس للقدرة، وإنما للحظ (Reis, 2002; Arnold, 1991).

كما تشير دراسة رايز (Reis,1998) إلى أنه رغم عدم الاختلاف في القدرات العقلية، بين الذكور والإناث، إلا أنه يوجد هناك فروق في الأداء، والالتحاق بالبرامج الخاصة بالموهوبين. ومن هذه الأمور:

أولاً: التوقعات الاجتماعية والثقافية، والتقاليد الخاصة بالاختيار المهني، حيث تهتم الكثير من الأسر بأداء الفتيان واختياراتهم وتحصيلاتهم أكثر من اهتمامها بمستقبل الفتيات (Reis,1987).

ثانياً: تؤدي عملية التنشئة الأسرية إلى اضمحلال مواهب الفتيات، وذلك من خلال تشجيع السلوكيات المناسبة للجنس الأنثوي التقليدي، لتأكيد الأدوار الجنسية المتعارف عليها. فهناك فتيات يحاولن إخفاء استعداداتهن العالية، بل والحد من مستوى التحصيل العالي، بحيث لا يتجاوز الإطار المتوقع والمقبول اجتماعياً (Kerr, 1995).

ثالثاً: عدم تشجيعنا كأهل لبعض الأنماط والسلوكيات المرتبطة بالموهبة، كالمخاطرة، والاستقلالية والاكتشاف، واتخاذ القرار، والتنافس، الحماية الزائدة لهؤلاء الفتيات، خاصة في مرحلة المراهقة، فتكون النتيجة تبني هذه الفتاة أنماطاً سلوكية ملائمة لمتطلبات الدور الأنثوي: كالهدوء، والوداعة، والطاعة، والاعتمادية، والاهتمام بالمظهر الخارجي، وتجنب منافسة الآخرين.

رابعاً: خوض بعض الفتيات الموهوبات صراعاً قوياً من أجل عملية القبول الاجتماعي من قبل البيئة المحيطة، وتوقعات الآخرين من جانب، وتحقيق الطموح، وتأكيد الذات من جانب آخر. فنجد أن الكثير من فتياتنا يحسمن هذه المعادلة الصعبة بالتضحية بموهبتهن وطموحهن الأكاديمي.

خامساً: أن عدم الثقة بالنفس هي العائق الكبير لدى البنات، وتؤدي إلى الكثير من المشكلات، فتكون البنات قابلات للإيحاء بدرجة كبيرة، ويميلن إلى تغيير أحكامهن الإدراكية، إذا ما تعارضت هذه الأحكام مع أحكام الآخرين، ويحددن مسؤوليات أقل لأنفسهن. فبينما يرحب الصبيان بتحمل المسؤوليات الكبيرة، تحاول الفتيات تجنبها تماماً.

إن فقدان الفتيات الموهوبات الإيمان بقدراتهن، وعدم الثقة بالنفس، تؤدي بهن إلى عدم الحماس والشجاعة للتعبير عن رأيهن، وإبراز قدراتهن. وتبدأ عملية فقدان الثقة كما تذكر العديد من الدراسات في المرحلة الابتدائية، وتستمر خلال الحياة الأكاديمية كلها، وتتركز الشكوك لدى هؤلاء الفتيات في قدراتهن العقلية، ويرين أنفسهن أقل قدرة مما هن عليه بالفعل،

ويعتقدن بأنّ الفتيان يستطيعون الاعتماد على قدراتهم الفطرية، بينما يتعيّن عليهن العمل بجهدٍ ليحصلن على النجاح.

مفهوم الموهبة (Giftedness)

أول من تحدث عن الموهبة والعبقرية والتفوق العقلي هو تيرمان عام 1925، حيث قام بدراسته الطويلة المشهورة عن الموهوبين لمجموعة من الأطفال، الذين بلغ عددهم (1528) طفلاً، ثم التعرف عليهم لمدة (35) عاماً حتى وفاته، وقد استخدم اختبارات الذكاء الجماعية، وملاحظات المعلمين. حيث حصل كل تلميذ من أفراد العينة التي قام بدراستها ومتابعتها، على + 140 نقطة ذكاء في اختبار ستانفورد بينيه في عداد العباقرة.

ثم تلتها الباحثة ليتا هولنجورت المذكورة لدى مسعد (2007)، والتي عرّفت الطفل الموهوب بأنه: ذلك الطفل الذي يتعلم بقدرة وسرعة تفوق بقية الأطفال في كافة المجالات. كما استخدمت مصطلحات مختلفة للدلالة على التفوق، منها: العبقرية، والنبوغ، والتميز، والموهبة، والإبداع. فالموهبة تدل على مستوى عالٍ من القدرة على التفكير والأداء، وقد أظهرت اختلافات بين الباحثين حول الحد الفاصل بين الموهوب والعادي من الأطفال، من حيث الذكاء، حيث بلغ هذا الحد عند تيرمان + 140 نقطة ذكاء، بالنسبة لتلاميذ المدارس الابتدائية على اختبار ستانفورد بينيه، و + 135 نقطة بالنسبة لتلاميذ المدارس الإعدادية، وذلك عندما اختار العينة لدراسه الطويلة الشهيرة. واختارت هولنجورث + 130 نقطة ذكاء كحد أدنى للتفوق العقلي، في اختيار العينة للدراسة التي قامت بها (مسعد، 2007).

ويشير ويلكز هوللي (1979) (المذكور لدى مسعد، 2007) إلى أن هناك نوعاً من الاتفاق على أن تكون درجة +140 ذكاء محكاً مناسباً للتعرف على المتفوق عقلياً، مع استخدام اختبار ذكاء فردي بانحراف معياري (15)، وهذا يشير إلى أن حوالي 0.38 فقط من المجتمع في عداد المتفوقين. ويمكن أن نشير إلى أن هناك شبه اتفاق، على أن +130 نقطة ذكاء على اختبار فردي لفظي بانحراف معياري (15) هي الحد المناسب لتحديد المتفوق عقلياً في ضوء محك الذكاء، بالنسبة لمن يعتبر أن اختبار الذكاء محكاً مناسباً (مسعد، 2007).

وقد أشار تورانس المذكور في المعاينة والبوايز، (2003) إلى انتشار وشيوع استخدام مصطلح الموهبة في أمريكا وأوروبا بمعانٍ مختلفة منها: التفوق العقلي الذي يرتبط بالذكاء، والتحصيل الأكاديمي (المعاينة والبوايز، 2003). كما ويرى خوجا (2000) بأنه أستخدم

مصطلح الموهبة ليدل على مفهوم الإبداع، والذي هو القدرة على التفكير، للتوصل إلى إنتاج متنوع وجديد في مجالات العلوم والفن (خوجا، 2000).
أيضا اعتمدت تعريفات الموهبة على مستوى التميز في مجالات محددة: كالفنون، والقيادة، والإدارة، والرياضيات (Eby & Smutny, 1990).
ومن هنا يمكن تصنيف تعريفات الموهبة باعتمادها على ثلاثة محاور وهي: الذكاء، والإبداع، والأداء.

ومن التعريفات المقبولة عند الباحثين في مجال الموهبة، تعريف مكتب التربية الأمريكية، والذي ينص على: "أن الأطفال الموهوبين هم أولئك الأطفال الذين تم تحديدهم بوساطة أشخاص مهنيين، ولديهم قدرات عالية، ويحتاجون إلى برامج تربوية، وخدمات إضافية، بجانب البرامج التربوية التي تقدمها المدرسة العادية". ومن الأمثلة على القدرات في المجالات: القدرة القيادية (Leadership ability)، والابتكار أو التفكير المنتج (Creative or Productive Thinking). أما بالنسبة لنموذج رنزولي (Renzulli, 1996) مصمم البرنامج الاثرائي ذي الحلقات الثلاث (Three Ring Conception of Giftedness) فيرى أن الموهبة هي نتاج التفاعل بين ثلاثة مكونات هي: القدرة العقلية فوق المتوسط، والمثابرة (الالتزام)، والإبداع. فيما يفسر جانبه (Gagne, 1991) ارتباط الموهبة العامة (Giftedness) باستعدادات الفرد الفطرية، والعوامل التي تتعلق بشخصية الموهوب مثل: الدافعية والمبادرة والميول، بالإضافة إلى العوامل البيئية مثل: الأهل، والمعلمين والأندية، والبرامج التربوية كالإثراء والإسراع (إبراهيم و غراب، 2006).

أما جراون (1999) فحاول أن يوضح الفرق بين الموهبة والتفوق، وذلك بأن التفوق هو نتاج للطاقة الكامنة (Potential)، فالطالب المتفوق لا بد أن يكون موهوباً، وليس كل موهوب متفوقاً (جراون، 1999).

وبناء على وجهات النظر المختلفة التي تناولت مفهوم الموهبة، فإنني أرى بأن الفرد الموهوب هو الذي يظهر أداء مميّزا في المجالات المعرفية والشخصية، بحيث يفوق مجموعة زملائه، ولكنه بحاجة إلى تدخل تربوي مبكر لتنمية هذه القدرات والاستعدادات. فالموهبة هي استعداد كامن، يمكن أن يظهر ويتطور لدى الأفراد إن وجدت البيئة المناسبة التي ترعى هذه المواهب. وأيضاً التعرف على الموهوبين مبكراً خطوة ضرورية نحو تنمية طاقاتهم والاستفادة من قدراتهم، وإذا لم يتم التعرف عليهم في الوقت المناسب، فإنهم سوف يتعرضون إلى خبرات ومواقف تربوية سيئة، تكبت حب الاستطلاع لديهم، والتعرف على الكثير من

القضايا المهمة، بل وقد يضيعون وقتهم داخل غرفة الصف، في حل التمارين الروتينية كبقية الطلاب العاديين.

ويبقى السؤال المفتوح هنا: لأي مدى تستطيع مدارسنا العادية اكتشاف هذه الفئة المميزة في مجتمع المدرسة، وبما أنه في هذه المقالة سيتم التركيز على فئة الفتيات الموهوبات في مجتمعنا العربي، لابد لنا أن نسأل أنفسنا كمربين، ووكلاء للتغيير: لأي مدى مجتمعنا بحاجة لدعم قدرات هؤلاء الفتيات، والإصغاء لهن كمبدعات، وصانعات للتغيير في كافة المجالات. وبالتالي من هي هذه الفتاة؟ وكيف ترى نفسها في ظل نظام أبوي، له شرائعه وقوانينه؟

الكشف عن الفتاة الموهوبة:-

على ضوء التعريفات السابقة والمعايير الخاصة عن الموهبة، فإن الكثير من الدراسات التي تناولت دراسة النساء، والفتيات الموهوبات، تتفق على أن الفتاة الموهوبة تختلف عن الفتيات الأخريات، من حيث قدرتها في الأداء رفيع المستوى، وذلك في كل المجالات: العقلية والإبداعية والفنية والقيادية والأكاديمية. وهناك دراسة أخرى تشير إلى أن هذه الفتاة، بحاجة إلى خدمات وأنشطة خاصة، غير التي تقدمها المدرسة والمجتمع، وذلك من أجل تمكينها (Reis,1995).

وتشير كل من الباحثة كير (Kerr, 1994) والباحث سلفرمان (Silverman, 1995) والباحثان بين وبييل (Bain and Bell,2004) إلى أن هناك أربعاً من المشاكل المشتركة التي تواجه أية فتاة موهوبة:

أولاً: ازدواجية المشاعر والأدوار (Ambivalence) التي تحد من اهتمام ووعي الفتيات بقدراتهن، أو الاختيار بين العمل والانشغال بالآخرين، والأصدقاء، على حساب أنفسهن.

ثانياً: الوضع الاجتماعي والاقتصادي العرقي (Socioeconomic and Ethic facts)، فهذا الوضع يؤدي بالفتيات اللواتي جئن من بيئات فقيرة، إلى الشعور بالعزلة، والابتعاد عن الآخرين، نتيجة للمعاناة الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي إخفاء المواهب.

ثالثاً: البحث عن المثالية في العمل (Perfectionism): وذلك نتيجة لضغوطات الأهل، ووسائل الإعلام، لتحقيق الرضا عن الأداء، والرغبة في إنجاز أهداف مستحيلة وصعبة في المجال الشخصي والعملي. وذلك لإرضاء الآخرين، والوصول إلى مستوى غير متوقع. فعلى سبيل المثال، هناك بعض العبارات التي يتم توجيهها للفتيات بهدف الدعم، لكنها في حقيقة

الأمر انتقاداً لمجهودهن، وقدراتهن نذكر منها: "عليك أن تكوني الأحسن والأفضل"، " لا تفشلي" (Reis,2002).

رابعاً: التذني في التحصيل الأكاديمي(Underachievement). وهناك عدة عوامل ترتبط بضعف القدرة على الإنجاز، أو التحصيل عند الفتاة الموهوبة، وهذه العوامل هي: صعوبة في التحديد عند اختيار المواد الدراسية والمهنية، وضعف في ضبط الذات، ومعاناة من الانطواء، وفقد كل من السيطرة والافتتاح، فقد الثقة بالنفس، ما يؤدي إلى فتور في الهمة، والانسحاب من الحياة، وضعف الإنجاز الأكاديمي.

ولعل من أهم ما يمكن الخروج به من هذه الآراء هو: أن هناك طالبات في صفوفنا الدراسية وبيوتنا، ينظر لهن على أنهن ذوات قدرات محدودة، أو إنجازات لا تذكر، وهن في الحقيقة صاحبات مواهب متعددة، ينقصها لمسات معلمين مؤهلين، ليخرجوا هذه المواهب إلى حيز الوجود، لتتطلق وبالتالي إلى حيز التطبيق والإنجاز (Dai, 2004). وهذه بعض الأمثلة لطالبات موهوبات داخل جدران مدارسنا، هن بحاجة لدعم واكتشاف لطاقتهم وإبداعاتهم:

- مريم طالبة مجتهدة في المدرسة، تحصل على علامات عالية في القراءة والكتابة، ونادراً ما تحاول المشاركة في النقاش الصفّي، وأيضاً تخفق في حل المسائل الرياضية، والمعلمة دائماً تقول لوالديها بأنها تلميذة ذكية، تحب مساعدة زميلاتها، على الرغم من تميز مريم التحصيلي، إلا أنها غير قادرة على الوصول لحلول وأفكار جديدة لتحقيق المهمات المطلوبة، وهذه القدرة لدى مريم يطلق عليها الذكاء التحصيلي، والذي يقاس بواسطة الاختبارات.
- أمل طالبة أخرى لدى المعلمة نفسها، لا تحصل على علامات عالية في دروسها كما عند زميلتها مريم، لكنها دائماً تفاجيء معلماتها بأفكار جديدة حول بعض قضايا الحياة اليومية. والمعلمة تعلل ذلك بأنه صدفة بعيدة الاحتمال والتطبيق، ولكنها في الواقع أفكاراً إبداعية. فهذه القدرة التي تمكن أمل من الخروج بحلول مبتكرة، من خلال الربط بين الأفكار التي تبدو ظاهرة، ومتناقضة في نفس الوقت، هي نوع من لإبداع.
- عيلاء طالبة ثالثة في نفس الصف، لكنها لا تبدو بارزة بين مجموعة بنات صفها، لا من خلال التحصيل الدراسي، ولا من خلال المشاركات في العمل الجماعي، لكن المعلمة تلجأ إليها لحل بعض المشكلات الصفية. هذه الطالبة

لديها قدرة عالية في المجال التطبيقي، واستخدام موهبتها الإبداعية في مواقف حياتية.

وتقلنا هذه الأمثلة إلى ذكر بعض السمات التي تتصف بها الفتاة الموهوبة ومنها:

1. درجة ذكائها أعلى من المتوسط.
2. التفوق على الطلاب العاديين في التحصيل الأكاديمي.
3. قدرتها على التحكم اليدوي كالفن والكتابة.
4. تحب التحدي في العمل.
5. تعمل بثقة وعزم.
6. لديها القدرة على التخطيط المستقبلي بعيد المدى.
7. أكثر حبا للاستطلاع والمثابرة والطموح.
8. تتعلم بسرعة وبسهولة.
9. تظهر قوة ملاحظة حادة.
10. ذات قدرة متفوقة على التخيل والتفكير المنظم.
11. تعبيرها عن الكيفية التي ترى بها العالم من حولها يتصف بالصدق والأمانة والوضوح.

أيضا هناك سمات شخصية تتميز بها الفتيات الموهوبات منها:

النضج وقوة العزيمة والمرونة والتسامح وعدم المخاطرة والتأثير وعدم الاستقلالية والإصرار والالتزام لأداء عمل محدد (Task Commitment\Motivation)، والتمرد الايجابي وتحمل الإحباط والفشل بسبب انخفاض في تقدير الذات (Bain and Bell, 2004). وهذا بعكس ما أجمع عليه مؤلفون آخرون، بأن الطلاب المبدعين والمتفوقين لديهم قوة الحدس، والنظرة للمستقبل بنفاؤل (ابراهيم و غراب، 2006; خوجا، 2000).

واقع التعليم في مدارسنا العربية، ورعاية فتياتنا الموهوبات وتطوير مواهبهن.

على الرغم من ارتفاع نسبة إقبال فتياتنا على طلب العلم، والدراسات العليا، إلا أنهم ما زلن يواجهون الكثير من التحديات والعقبات، التي تؤثر سلباً في تطورهن، وتقدمهن شخصياً ومهنيّاً. فبالإضافة للمعيقات الداخلية كعدم الثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية، وعدم القدرة في التعبير عن الرأي، فإن للنظام التعليمي، وواقع المدرسة العربية، الأثر السلبي في عدم تطوير وتعزيز شخصية وقدرات فتياتنا.

تعد المدرسة جهازاً تربوياً مركزياً في حياة الطالب، وعليها أن تقدم المقررات الدراسية بأساليب تنمي العقول، وتفتح أبواب الإبداع والموهبة، بدل تشجيع عملية البصم، والذهاب للامتحانات السنوية من أجل تفريغ المعلومات التي تم حفظها. لكن يرى كل من حيدر (2000) وشرابي (1975) بأن الطريقة التقليدية التي تسود في مدارسنا العربية، تحد من ظهور فرص النقاش والحوار لدى المتعلمين، وبالتالي تؤثر سلباً على العلاقة بين المعلم والطالب وعملية التحصيل الدراسي. وبمعانٍ أخرى فإن الوضع القائم في مدارسنا لا يشجع على اكتشاف القدرات الكامنة الموجودة عند طلابنا، ومساعدتهم في تطويرها، ما يزيد من انعدام ثقتهم بأنفسهم كقادة للتغيير داخل مجتمعهم. أيضاً أضافت عليان (2002) والحاج (1996) بأن مدارسنا تخلو من الجو الديمقراطي، الذي يضمن للطالب الحق في إبداء رأيه، بل تلقّي التعليمات، والعمل بها كمسلمات. وبما أن مجتمعنا العربي سلطوي وتقليدي ومحافظ لا يهتم بالأفراد بل بالمجموعات، بحيث أن هوية الفرد ناتجة عن انتمائه للجماعة، وبالتالي لا يستطيع الفرد اتخاذ قرار، أو المبادرة أو الجرأة والانتقاد للأمور (عليان، 2002). فإن هذه العوامل تؤثر بشكل مباشر على شخصية فتياتنا وأدوارهن في المجتمع، لأن أغلب العادات والتقاليد تطبق بشكل صارم على النساء في مجتمعنا، مثل الرضوخ والقبول باختيارات الآخرين لها. وهذا يؤكد بان مجتمعنا أبوي بطرياركى، بمعنى أن الرجل هو الذي يسن القوانين، ويبلور المفاهيم، وما زال الرجال يطغون في قيادة مواقع فاعلة داخل المجتمع، ما يجعل دور المرأة والفتاه مهمشا بالنسبة لقضايا اجتماعية وتربوية أخرى. فالواقع السائد في مدارسنا ما زال يخلو من الأجواء الداعمة والمعززة لطاقت طالباتنا الموهوبات، واكتشاف إبداعاتهن، وذلك لعدم وجود المعلمين المؤهلين في الحقل، والذين ليست لديهم الفلسفة التربوية، ولا الشعور بالانتماء الوظيفي (ذياب وفتيحة، 2001). كما أن نظام العائلة العربية التقليدي، والذي تسوده "الحماية الزائدة" للفتيات، بحيث لا يمكنهن من التفكير بأنفسهن بل الجماعة التي ينتمين لها. أيضاً ينتقل تأثير هذه التربية والحماية إلى المدرسة، فجد بأنه تفرض على مدارس الفتيات قوانين، ومعايير اجتماعية، تمنعهن من إبداء آرائهن، وإبداعاتهن، ما يحد من عملية النمو الاجتماعي لديهن، ويؤثر على هويتهن الشخصية كفتيات.

أهمية دور المدرسة والمعلمين في رعاية الموهبة لدى الفتيات

أكدت دراسة الشرفي (2003) ودراسة العنزوي (2005)، ودراسة البلوي (2007) على لسان الجهني (2008) على أهمية إعداد معلمين للطلاب الموهوبين، وتأهيلهم ليتمكنوا من تخطيط برامج إثرائية، توفر التحدي، والتوسع والتعمق في تمكين الطلبة الموهوبين من إظهار مواهبهم، ومن هنا يكمن الدور الأساسي للمعلمين في التأثير على العملية التعليمية والتربوية، وذلك لأهمية هذا الجانب في حياة جيل قادر على تحمل المسؤولية، والقيادة داخل مجتمعنا العربي. ومن هنا أيضاً ينبغي أن تتضافر كافة الجهود لإعداد المعلم الكفاء، والقادر على القيام بوظائفه التعليمية والتربوية على أكمل وجه. وقد أكد رايز وجراهم (Reis and Graham, 2005) في دراستهما عن الاحتياج الواضح للمعلمين الذين يدعمون الفتيات الموهوبات في مجالات العلوم والتكنولوجيا والرياضيات، وذلك بمعرفة وتقبل مشاعرهن ومخاوفهن تجاه هذه المواضيع.

ويجب أن يتميز المعلم بمهارات أساسية، كالتعامل البناء، ومهارات الاتصال، وتقبل وجهات النظر، واستخدام البرامج المتعددة المتنوعة، كالبرامج الإبداعية، وبرامج التفكير لتحسين مستوى أداء الطلبة في كافة المجالات.

وقد أشارت الباحثة فان تاسل باكا (VanTassel-Baka, 2005) إلى عدد من الجوانب المهنية لمعلم الطلبة الموهوبين نورد منها :

- 1) لديه المهارة لإعداد وتخطيط مواد دراسية مناسبة لمختلف أنواع القدرات العقلية، والاهتمام بالقدرات الإبداعية، وحل المشكلات.
- 2) المهارة في التأسيس للأنشطة المستقلة والأبحاث.
- 3) الإلمام بمهام وأساليب التعليم الفردي والتعاوني.
- 4) غرس المهارات اللازمة لمتطلبات التعليم المستقل، والاعتماد على الذات (Moor and Mackinnon, 2001).
- 5) مساعدة هؤلاء الطالبات الموهوبات في التدريب على التفكير المبدع، والقدرة على التحليل والنقد.
- 6) تشجيع الطالبات المتفوقات و الموهوبات على استخدام النقاش والحوار للأسئلة المطروحة، لمساعدتهن على اتخاذ القرارات، والتخطيط، والإلمام بمختلف المواقف المحيطة بهن.

- (7) إكسابهن المهارات الضرورية للتفاعلات الاجتماعية الإنسانية اللازمة، للعمل بكل سهولة ويسر مع مختلف الجماعات في المجتمع.
- (8) مساعدة الطالبات المتفوقات والموهوبات على اكتساب السلوكيات الإيجابية، وتقديم التقدير والاحترام لكل الناس، مهما كانت قدراتهم ومواهبهم، ومحاولة الوصول إلى فهم ذواتهم، والوصول إلى الرضا، وإقامة علاقات صحية مع الآخرين.
- (9) تقوية توقعات الطالبة الإيجابية والمتعلقة بقدراتها، وبالجانب المستقبلي لدراساتها، والوظيفة التي ستلتحق بها، ولحياتها المستقلة بشكل عام، لدفعها لمزيد من التفكير لتحقيق طموحاتها. (Rothenberg,1997)

نموذج لتنمية الموهبة لدى الفتيات

يمكننا أن نمي الموهبة لدى طالبتنا الموهوبات في المدارس من المرحلة الابتدائية، والروضة، من خلال توفير جميع الظروف الداعمة لهن، مثل: وجود معلم قدير يعزز الموهبة والتميز لديهن، أيضاً وجود مدرسة يكون دستورهما مبنياً على تنمية الخيال والاكتشاف، وليس تقديم معلومات جاهزة بين صفحات الكتب، تعطل الموهبة والإبداع، وتؤدي إلى شعور هؤلاء المتميزات بالإحباط والفشل، وعدم القدرة على اتخاذ القرار. لذلك فإنني أرى بأن مدارسنا العربية تفتقر إلى البرامج الإرشادية، والإثرائية، التي تخص الموهوبين، لأنهم يحتاجون إلى الدعم العاطفي والمعنوي، بعيداً عن " التربية البنكية"، التي تجعل هؤلاء الطلاب يتصفون بالسلبية وعدم الاستقلالية.

وهناك الكثير من الاستراتيجيات التربوية التي تم استخدامها في تعليم الموهوبين منها: البرامج الاثرائية (Enrichment)، وذلك بإدخال تعديلات وإضافات على المناهج المقررة للطلبة العاديين، حيث يشير الباحث (الجهني، 2008) بأن المنهج الإثرائي هو الذي يقوم بتخطيطه وتنفيذه معلم الموهوبين ضمن برنامج المدرسة، ويتسم بالتنوع، والعمق العلمي، والفكري. أما الإستراتيجية الثانية فهي التسريع الأكاديمي (Acceleration)، مثل القبول المبكر للصف الأول في بعض الدول. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل هذه الاستراتيجيات مألوفة في داخل جهازنا التعليمي؟ وإلى أي مستوى هي قائمة من حيث التطبيق والتقييم؟

وبناء على هذه الصورة للواقع التربوي التعليمي في مدارسنا العربية، فإن عملية تمكين وتوجيه الطالبات الموهوبات يعتبر ضرورة حتمية، خاصة وأننا نرى دافعية عالية لدى فتياتنا

نحو التوجه للدراسات العليا. لذلك علينا كمربين وأهل، احتضان هذه الإيرادات، والدافعيات العالية والقوية لدى فتياتنا.

وتأتي عملية الكشف عن فتياتنا الموهوبات بتركيزنا على الأمور التالية:

مفهوم الذات (Self-concept) والذي يتكون عند الفرد من مجموعة الخبرات الشخصية، التي مر بها من خلال تفاعله مع الآخرين والبيئة المحيطة، واتخاذ موقف بالرضا، أو عدم الرضا عن نفسه. وربما تكون مساعدة الطالبة الموهوبة، خاصة في سن المراهقة من خلال تبادل الأفكار والآراء، واكتشاف المشاعر والاتجاهات نحو نفسها ونحو الآخرين (Bain and Bell, 2004).

أيضا اكتشاف أسباب تدني مستوى التحصيل (Under achievement) لدى الطالبات الموهوبات، والذي يسوء لأسباب منها: عدم تكيفهن مع المنهاج الدراسي، أو تدني مفهوم الذات، وعزو النجاح للحظ. ولعل أفضل طريقة لاكتشاف هذا التدني هو تقدير وتعزيز هذه الطالبة لأدائها اليومي لواجباتها، وإجراء اختبارات ذكاء فردية.

الاهتمام بتوجيه طالباتنا إلى اختيار مهني(Career choice) يلائم استعدادتهن. وذلك لتنوع اهتمامات، ونشاطات وقدرات واستعدادات هؤلاء الطالبات الموهوبات في الكثير من المجالات: كالفن والشعر والطب والهندسة، لذلك فهن دائما بحاجة إلى المساعدة على اتخاذ القرار للانتحاق بالجامعة، واختيار التخصص المناسب، والمهنة المفضلة. وقد أشارت الدراسات التي قام بها الباحثون كير وكولانجلو (Kerr&Colangelo,1988), زورمان ودافيد (Zurman وDavid, 2000)، بأن الطالبات الموهوبات لديهن مخاوف من عدم الحصول على زوج، اذا أكملن تحصيلهن العلمي فوق البكالوريوس، وبالتالي يتأثر اختيارهن المهني بالظروف الاجتماعية المحيطة بهن.

التلخيص والخاتمة

طرح هذا المقال عدة تساؤلات حول واقع الفتيات الموهوبات في مجتمعنا العربي، وعوائق تقدمهن في المجالات المختلفة، مثل: من هي هذه الفتاة؟ وكيف ينظر لها المجتمع؟ وما هي التحديات التي تواجهها؟ وهل هناك خوف داخلي لدى الفتيات الموهوبات في الاستقلال، واختيار مسار حياتهن؟ أيضا: ما هو دورنا كأهل ومربين في رعايتهن؟

أن تفوق الفتيات في التعليم له دلالات ومؤشرات هامة في المستقبل، على صعيد رفع مكانة المرأة في المجتمع العربي، ودخولها بقوة سوق العمل لتقاسم الرجل الأعباء

والمسؤوليات، وتأكيداً لجدارتها في إشغال المراكز القيادية، فهي قادرة على الإبداع، وصنع القرارات، طالما أنها تثبت نفوقها في كل المجالات، وعلى رأسها التعليم، الذي يعتبر مؤشراً على الحراك الاجتماعي لدى المرأة.

لذلك تعتبر عملية رعاية الفتيات الموهوبات، وتقديرهن بما يتلاءم وقدراتهن، ضرورة حتمية وإستراتيجية مهمة من استراتيجيات التنشئة في مجتمعات اليوم، ذلك أنهن ثروة وطنية غير قابلة للتعويض أو الاستبدال، وبالأخص في عصر العولمة، وتفجر المعلومات، والزخم الهائل للتقنية؛ لكن هؤلاء الفتيات ما زلن ينتظرن التصفيق والإشادة بقدراتهن. فمن المهم أن لا نهمل ونهمّس، أو نجمّد نصف طاقات المجتمع البشريّة، وما تحمله الفتيات من قدرات ذهنيّة وإبداعية نحن في أمسّ الحاجة إليها. والأمر المطلوب أيضاً من جهة أخرى، ضرورة تمكين الفتيات، من تحقيق إنسانيّتهن، وترقيتهن، والنّهوض للقيام بدورهن في المجتمع وفي الحياة كالفتيان. فالفتاة المتميزة شعلة من النشاط والحيوية والأمل للمجتمع. لذا نوصي بأهمية العمل على تحقيق النمو المتوازن للفتاة الموهوبة في مجتمعنا، وذلك لضرورة الاستفادة من طاقاتها الكامنة.

والنظرة التي يرى بها الوالدان ابنتهما، لها دور كبير في تشكيل نظرة الفتاة الموهوبة لنفسها (Johnson,1999)، وهو أكبر من الإنجازات نفسها، فالفتيات حساسات لتوجّهات الوالدين ولآرائهم فيهن؛ وذلك راجع لحقيقة أنهن أكثر عاطفية؛ ويعتبرن نظرة الآخرين لهن أهم من نظرتهن لأنفسهن، ويحتاج الأهل لمرشدين، من أجل توعيتهن إلى كيفية مساعدة بناتهن الموهوبات، لتجاوز العديد من الحواجز التي قد تواجههن، والتي قد تقف في طريق النمو الصحي الناجح. لذا فالفتيات الموهوبات يحتجن لقاعدة عاطفية فيها الأمان، للمساعدة على الاستكشاف والتفكير المستقل. وأحياناً يعتقد الأهل أن تميز الفتيات الموهوبات عن غيرهن، قد يؤدي إلى مشكلات اجتماعية عديدة لهن، بسبب ردود الأفعال السلبية من قبل زميلات الدراسة، بحكم عوامل الغيرة والتنافس، ما يدفع الموهوبات إلى النقليل من حجم قدراتهن الفعلية؛ حتى لا يتهمن بافتقار الكفاءة الاجتماعية، أو تشبيه بعض الأفراد لهن بالذكور، أو تحكم الأسرة في طريقة تصرفهن، وإملاء شروط اجتماعية تهدف فقط إلى تكريس هذا التمييز في أعين الآخرين، من أجل التباهي.

والواقع أن هؤلاء الفتيات، بالرغم من تساوي ذكائهن مع ذكاء الذكور، في كل مراحل الدراسة، التي تتراوح بين المدرسة الابتدائية والجامعة، فإن نسبة ضئيلة منهن يخترن منافسة

الرجال، في عالم المهنة والأعمال، لذلك فهن في صراع بين تحقيق مطامهن ومواهبهن، وبين الواقع الذي يعيشنه.

وترى (غندور، 2007) بأن التقدم والتنمية بحاجة إلى امرأة فاعلة في كل جوانب الحياة، بعيداً عن الازدواجية والخضوع للآخر. لذلك على فتياتنا الموهوبات توظيف موهبتهن باتجاهات ايجابية، ترقى بمستوى المرأة العربية ومكانتها العلمية والاجتماعية. أيضا تضيف الباحثة رايز (Reis,2003) بأن على الفتيات والنساء الموهوبات، الإدراك والإيمان بقدراتهن، لأن في ذلك سر السعادة وتحقيق الذات والآمال.

المراجع

إبراهيم، م. و غراب، ر. (2006). تدريس الرياضيات للموهوبين. ط1، عالم الكتب: القاهرة.

الجهني، ف. (2008). أدوار وصعوبات معلمي الموهوبين المرتبطة بتخطيط وتنفيذ وتقويم المنهج الإثرائي في برامج الموهوبين بمدارس التعليم العام. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى في السعودية.

الخوجا، ع. (2001). التفكير وطرق تطويره. الكرمة، 3، 72-53

الخوجا، ع. (2000). تنمية الابداع عند طلابنا، الكرمة، 2، 81-71

السعداوي، ن. (1988). مذكرات طبية. بيروت : دار الأدب.

عبيد، م. (2000). تربية الموهوبين والمتفوقين. عمان: دار صفاء.

المعاينة، خ.، والبوليز، م. (2003). الموهبة والتفوق. عمان: دار الفكر.

جروان، ف. (1999). الموهبة والتفوق والإبداع. الطبعة الأولى. عمان: دار الكتاب الجامعي.

جراون، ف. (2002). أساليب الكشف عن الموهوبين والمتفوقين ورعايتهم. الطبعة الأولى. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

حيدر، ع. (2000). البنية الاجتماعية للمدرسة العربية، الكرمة، 19، 1-25.

ذياب، خ. وفتيحة، أ. (2001). مفتاح الحل... هل يكمن في رؤية واقعية عند كل معلم فينا؟. **الكرمة**، 2، 2-25.

عليان، س. (2002). انعكاسات المذهب الإنساني على نموذج إرشاد تربوي لتأهيل المعلمين العرب. **الكرمة**، 3، 73-84.

غندور، ف. (2007). الفرص المتاحة والعوائق كثيرة تعليقات و آراء حول نتائج تقرير التنمية البشرية في ليبيا. تقرير في **جريدة العرب الإسيوعي** الصادر بتاريخ 2007\7\7.

شرايبي، ه. (1975). **مقدمات لدراسة المجتمع العربي**، دار الطليعة- بيروت.

مسعد، ز. (2007). **الموهبة والموهوبون**، (13-11-2007). متوفر في <http://pulpit.alwatanvoice.com/content-110614.html>

أبو-بקר، ح'. (1998). **بדרך לא סלולה: נשים ערביות כמנהיגות פוליטיות בישראל**. ירושלים: המרכז לחקר החברה הערבית, מכון ון-ליר.

אבורביעיה-קווידר, ס'. (2005). מתמודדות מתוך שוליות: שלושה דורות של נשים בדואיות בנגב. בתוך הנירט-כלב, נ' ינאי, נ' ברקוביץ (עורכות) **נשים בדרום: מרחב, פריפרה, מגדר**. תל אביב, חרגול הוצאה לאור. עמודים-108-86.

זורמן, ר', ודויד, ח'. (2000). **אפשר גם אחרת. בנות ונשים: הישגים ואתגרים**. ירושלים: מכון סאלד.

עליאן, ס'. (2006). למידה טובה ומשמעותית: חוויות למידה חיובית הזוכרות אצל בוגרים בחינוך הערבי בישראל והשפעתן עליהם. **עבודת דוקטוראט**. ירושלים, האוניברסיטה העברית, בית ספר לחינוך, המגמה לסוציולוגיה של החינוך.

Arnold, K. D. (1995). **Lives of promise**. San Francisco: Jossey-Bass Publishers.

Bain, S. K. & Bell, S. M. (2004). Social self-concept, social attribution, and peer relationships in fourth, fifth and sixth graders who are gifted compared to high achievers. **Gifted Child Quarterly**, 48(3), 167-178.

Eby, J. W. & Smutny, J. F. (1990). **A thoughtful overview of gifted education**. New York: Longman.

Dai, D.Y. (2002). Are gifted girls motivationally disadvantaged? Review reflection and redirection. **Journal for Education of the Gifted**, 25, (4), 315-358.

Haj-Yahia, M. (1998). A patriarchal perspective of beliefs about wife beating among Palestinian men from the West Bank and the Gaza Strip. **Journal of Family Issues**, 19:595-621.

Johnson, S. (1999). Discovering the potential of gifted girls: The biological and physical science. **School Science and Mathematics**, 99, (6), 302-312.

Kark, R., Galilee, E. and Feuerstien, T. (2009). Independence and Entrepreneurship Among Arab Muslim Rural and Bedouin Women in Israel. Floersheimer Studies. **The Institute of Urbana and Regional Studies**. (On line Abstract March \2009) in (Hebrew).

Karmi, G. (1996). Women, Islam and Patriarchalism. In: M. Yamani, (Ed), **Feminism and Islam**, London: Ithaca, 69-85

Kerr, B.A., & Maresh, S.E. (1994). Career counseling for gifted Women. In W.B.Walsh & H.Osipow (Eds), **Career Counseling for Women**, (417-427). Hillsdale: Erlbaum.

Kerr, B.A. (1995). **Smart girls** (Rev.ed). Scottsdale, AZ: Gifted Psychology Press.

Kerr, B.A., & Colangelo, N. (1988). The college plans of academic talented student. **Journal of Counseling and Development**, 66, (9), 366-370.

Klein, A. G. & Zehms, D. (1996). Self-concept and gifted girls: A cross sectional study of intellectually gifted females in grades 3, 5, 8. **Roeper Review**, 19(1), 30-33.

Leroux, A. (1998). Follow your dream: gifted women and the cost of success. **Gifted Education International**, 13, 4-12.

Moore, L. & MacKinnon, D. (2001). Preadolescent girls and presentation of the self: A dramaturgical perspective. **The Alberta journal of education research**, XLVII (4), 309-324.

Noble, K. D. (1987). The dilemma of the gifted woman. **Psychology of women quarterly**, 11, 367-378.

Reis, S. M. (1995). Talent ignored, talent diverted: The cultural context underlying giftedness in females. **Gifted Child Quarterly**, 39, (3), 162-170.

Reis, S. M. (1998). **Work left undone: compromises and challenges of talented females**. Mansfield Ctr., CT: Creative Learning Press

Reis, S. M. (2005). Feminist Perspectives on Talent Development: A Research-Based Conception of Giftedness in Women. In: S., Robert (Ed.), **Conception of Giftedness**. Cambridge Press. 217-246.

Reis, S.M. (1987). We can't change what we don't recognize. Understanding the needs of gifted female. **Gifted Child Quarterly**, 31(2), 83-89.

Reis, S.M & Graham, C. (2005). Needed: Teachers to encourage Girls in Math, Science, and Technology. **Gifted Child Today**, 28, 3, 14-21.

Reis, S.M. (2002). Gifted females in elementary and secondary school. **In The social and emotional development of gifted children: what do we know?** (Pp.125-135) Waco,TX: Prufrock Press,Inc.

Rothenberg, D. (1997). **How can we support girls in early adolescence?** Rockville, MD: Access ERIC.

Silverman, L., K. (1995). Why are there so few eminent women? **Roeper Review**, 18(1), 5-13.

Yair, G., Khattab, N.& Benavot. A. (2004). Heating up the aspirations of Israeli Arab youth. **Sociology of Education and Socialization**, 14: 201-224.